حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية
ISSN: 1112-7880 EISSN: 2602-5361
المجلد 19/العـدد 2 (ديسمبر2025)، ص249- 269

تيمة المرأة المناضلة في رواية جميلة لجينكيز أيتماتوف ورمانة للطاهر وطار

-مقاربة موضوعاتية-

The Theme of the Struggling Woman in "Djamila" by Chingiz Aitmatov and "Rommana" by Tahar Wattar

- A Thematic Comparison -

صلاح الدين بوحجلة*[1] زهيرة بارش[2]
[1] جامعة محمد لمين دباغين - سطيف2 (الجزائر)، sa.bouhadjla@univ-setif2.dz
[2] جامعة محمد لمين دباغين - سطيف2 (الجزائر)، z.bareche@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/09/02 تاريخ القبول: 2025/10/31 تاريخ النشر: 2025/12/15

ملخص:

*يبحث هذا الموضوع أثر الرواية الروسية في الرواية الجزائرية، من خلال تيمة المرأة المناضلة كبعد إنساني مشترك. في رواية *جميلة* ينطلق نضال البطلة من الجماعة والخصوصية القبلية، مدعوماً بروح التضامن السوفييتي، ما يجعل الفردية تذوب في الانتماء الجماعي. أما في *رمانة*، فالمسار مختلف؛ تبدأ فيه البطلة من واقعها المؤلم، لتتحول إلى جسد مُشتهى، ثم تصل إلى وعي ثوري شامل، إنه إسقاط على تطور وعي المرأة عبر منظور الكاتب. يتجلى التباين في أن الأدب الروسي حافظ على السمو في طرح تيمة المرأة بعيداً عن الجسد، بينما الروائي الجزائري فتح جدلاً إبداعياً وجريئاً حولها.*

الكلمات المفتاحية: *جميلة- رمانة- النضال- التيمة- المرأة.*

Abstract:

*This study explores the impact of Russian literature on Algerian narrative through the shared theme of the militant woman as a humanistic dimension. In *Jamila*, the heroine's struggle originates from communal bonds and tribal identity, reinforced by Soviet solidarity, where individuality dissolves into collective belonging. In *Rumana*, however, the trajectory differs: the heroine begins in a painful reality, becomes a desired body, and ultimately reaches revolutionary awareness, reflecting the evolution of women's consciousness through the writer's vision. The contrast lies in Russian literature's preservation of transcendence by avoiding corporeal portrayals, while the Algerian novelist opened a bold, creative debate around them.*

Keywords: Djamila- Rommana- Struggle- Theme- Woman

* المؤلف المرسل

- **مقدمة:**

تناولت الرواية على الصعيدين العالمي والعربي عدة موضوعات كالحب، الخيانة، الموت، الحرب، الهوية، الاغتراب، الذاكرة، التاريخ، الهجرة... فاهتمت وتطرقت لها باعتبارها تيمات تحمل أبعادا ودلالات متعددة تم توظيفها انطلاقا من واقع المجتمع، وهذا ما فعلته الرواية الروسية في رواية "جميلة" لجنكيز أيتماتوف التي تناول فيها فترة الحرب العالمية الثانية ضد النازية. في المقابل هناك رواية "رمانة" "للطاهر وطار" التي تدور أحداثها عن فتاة امتهنت العهر والدعارة بعد وفاة والدها وغايتها -حسب تصوير الكاتب- هي مساعدة أسرتها على كسب لقمة العيش الصعبة أيام الوجود الكولونيالي وإبان الثورة التحريرية رغم عدم وجود صلة تاريخية تثبت هذا الرأي.

إن المرأة كنز مقدس ومن المحرمات التي يُسمح للروائي خصوصا بالتحدث عنها، فهي الطابو الذي لا يكسره إلا من يملك الجرأة الكافية والقدرة الإبداعية. رغم الحضور اللافت للمرأة المناضلة كتيمة إلا أنَّ المجتمع بعد الحرب حافظ على تزمته ونظرته وأفكاره السابقة نحوها فأعادها إلى أدوارها السابقة، في حين أن الروائيين حاولوا إعطاءها صفة البطولة التي نالها الرجل إلا أنهم كانوا في كتاباتهم يذكرونها تلميحا أكثر منه تصريحا، بالمقابل وظف هؤلاء الكُتَّاب رؤيتهم الذكورية نحو المرأة التي كانت هامشا أو عنصرا مفعولا به متأثرا لا فاعلا مؤثرا وهي التي رفضت الخنوع والخضوع وتحدت السلطة البطريركية والعادات والتقاليد.

يشكل لنا خروج جنكيز أيتماتوف والطاهر وطار في روايتهما بشكل مخالف ومغاير عن معايير سابقيهم استغرابا وكسر أفق وجب البحث فيه وطرح المقارنة بينهما، لأنهما انطلقا يرويان لنا وقائع عن امرأتين كسرتا قواعد السلطة والمجتمع مع نهاية صادمة وتصاعد في الأحداث وتغير في الشخصيتين الرئيسيتين. بين الجسد والتشيء كان لشخصيتي جميلة ورمانة بالغ الأثر في هذا الحدث المصيري، رغم أن الروايتين تنطلقان من سياق اجتماعي وتاريخي متقارب إلا أن تيمة المرأة المناضلة فيهما تتخذ أبعادا متباينة كما سنسعى إلى البحث عن أثر الرواية الروسية في الرواية الجزائرية انطلاقا من تيمة المرأة المناضلة، مما يدفعنا إلى التساؤل حول:

- كيف تشكلت تيمة المرأة المناضلة؟
- ما علاقتها بالسياقين التاريخي والسياسي؟

- وكيف تجلت المرأة المناضلة في روايتي "جميلة" و"رمانة"؟

- وما الذي يكشفه السياق التاريخي والثقافي الذي أُنتجتا فيه؟

ولنتمكن من دراسة التواشجات والتقاطعات بين الروايتين سنلجأ إلى المقاربة الموضوعاتية علما أن الموضوعات تعد من مجالاته وهي تدخل ضمن الأدب المقارن، مما يسمح لنا بتفكيك طريقة وأسلوب السرد المتناولة من قبل الروائيين خصوصا عند جيل السبعينات من الكُتَّاب الجزائريين، وهذا يمكننا من دراسة تيمة المرأة وتمثلاتها وكيفية توظيف السياقات التاريخية والثقافية.

1. المرتكزات النظرية والمنهجية للدراسة:

تكتسب المرأة في الدراسات العالمية والعربية خصوصية مضاعفة إذ تتجاوز حدودها الذاتية نحو مساءلة المجتمع بثقافته وأفكاره، وانطلاقا من اعتبار المرأة رمزا وكيانا إنسانيا والاضطهاد باعتباره نتاجا للتقاليد والهيمنة، والتحرر كمسار فردي أو جماعي لاستعادة الذات، سنكشف عن الكيفية التي تشكلت فيها الشخصية النسائية المناضلة في سياقين تاريخيين وأدبيين مختلفين، وكيف انبثقت من خلالهما صور متعددة للمرأة كالبطولة، والانكسار، الحلم الثوري، وخيبة الواقع. قد يقصد بالمرأة الأرض والوطن أو تُذكر كأداة مقاومة فهي لا تخلو من أن تكون مساحة للصراع الذي تنبذه المرأة، وتعتبر إخضاعها قمعا وتسلطا على حريتها ما قد يدفعها لتثور ضد أعراف وتقاليد المجتمع والسلطة الدكتاتورية. تعد المقاربة الموضوعاتية أفضل المقاربات ملاءمة لمثل هذا النوع من الدراسات كونها مقاربة تتصف بالمرونة من الناحية التطبيقية، فالبحث في الموضوعاتية:"هو بحث عن النقاط الأساسية التي يتكون منها معنى العمل الأدبي... من خلال التكرار كطريقة عادية تسمح بالإلمام المعجمي أو السيميائي الموضوعاتي الأساسي والثانوي في النص، مما يساعد على تبين المعمار الظاهر أو الخفي، وإدراك مفاتيح مكوناته، كعلامة على قابليته للفهم والتأويل"[1] وهو ما يؤسس للموضوعات الكبرى داخل النص الروائي.

1.1. الأطر التاريخية والثقافية للروايتين:

لم يسبق أن قدم أدب عالمي ما قدمه الأدب الروسي من عمق فما تركه كُتَّابُه من إرث إبداعي ظل ملهما لغيرهم في كل مكان وزمان. ومن هذا الامتداد خرجت للنور رواية "جميلة"

لجنكيز أيتماتوف التي تعد واحدة من أروع روايات الحب التي كتبت كما وصفها الأديب الفرنسي لويس أراغون. و"جميلة" هي فتاة ذهب زوجها إلى الحرب، أمضت أيامها في نقل أكياس الحنطة إلى محطّة القطار في قريتها الصغيرة في القوقاز، مع سعيد شقيق زوجها الأصغر ودانيار الوافد الجديد إلى القرية والذي أُصيب في أرض المعركة. لقد أراد جنكيز آيتماتوف تصوير ملحمة الشعب القرغيزي الذي يعيش على ذل الخبز، أمام البيروقراطية المغتصبة راسمًا حياة هذه الشخصيات المهمشة والمقصية، من الفلاحين، والجوعى، والنساء، والعمال، بتعبير شعري جميل، وبرواية محكية بأبسط العبارات على لسان فلاح قرغيزي.

تضاعفت المعاناة أثناء الحرب العالمية الثانية خصوصا مع فقدان الآباء والأبناء في صدهم للغزو النازي، وازداد الأمر حدة حين اضطر المراهقون، والشيوخ، والنساء العازبات، والمتزوجات، والأرامل إلى العمل في الكولخوز (المزرعة الجماعية) والتعاونيات الفلاحية، من أجل تمويل الجيش بالغذاء ومختلف المواد الأساسية في ظروف صعبة وقاهرة تكاد تكون أشبه بالعبودية، وهذا هو الواقع الحقيقي حيث حوَّل النظام السوفييتي المجتمع إلى وحدات تعمل جماعيا في المصانع والمزارع والبناء وشق الطرق.

بعد قيام الثورة البلشفية قامت ثورة اجتماعية واقتصادية وثقافية مما أكسب الأدب السوفييتي شكلا جديدا ومغايرا عما كان عليه، وما هو إلا في أصله امتداد للأدب الروسي الكلاسيكي الذي كتبه الأدباء السابقون، لكن السلطة مطلع الثلاثينيات حاولت تطويع وخلق شكل أدبي يخدم أغراضها وبرامجها في إطار ما سمي بالمخطط الخماسي، ومع زوال هذا التقييد بعد الحرب العالمية الثانية (الخمسينات) استطاع جنكيز أيتماتوف توظيف العنصر الإنساني والمشاعر في روايته بدل إدراج الخطاب السياسي للدولة السوفييتية بشكل كلي، وهذا ما أنتج لنا ما أصبح يُعرف لاحقا بالواقعية الاشتراكية.

في الجهة المقابلة كانت الرواية الجزائرية تمر بتحولات وتحاول اختراق مسارات لم يسبق لها الخوض فيها، ويمكن اعتبار الطاهر وطار بمؤلفه "رمانة" واحدا من أوائل الروائيين خوضا لمثل هذه المواضيع بجرأة غير معتادة. يتحدث الطاهر وطار عن نصه قائلا: لا يمكننا وصفه لا بالرواية ولا بالقصة، هو نص جميل، تحس وأنت تقرأه بأن قضية رمانة والمحيطين بها أعمق كثيرا من قصة عادية.

"رمانة" شابة تدفعها الظروف إلى استعمال جسدها لكسب قوتها، تحمل الحبكة الكثير من النقاط التي يمكن إسقاطها على الجانب السياسي، كما أن أفكار الرواية موغلة في الواقعية لكنها تطرح تساؤلات حول كيفية اعتماد هذا الطرح الغريب عن مجتمعنا على الرغم من كونه يقوم بالدفاع عن قضية تهم الشعب الجزائري إلا أنه الكاتب وظفها وفق أفكار تبرز أيديولوجيته وانتماؤه إلى الاشتراكية التي تبناها النظام في ذلك الوقت.

كانت الجزائر فترة السبعينات تنتمي إلى المدرسة الواقعية أدبا وإلى الاشتراكية سياسيا واقتصاديا، فالنصوص التي كتبت بعد الاستقلال كانت تؤيد ما طلبته السلطة من الأدباء، وهذا ما يراه الدكتور عمر بن قينة حين يتحدث عن الروايات التي كُتبت آنذاك ويضرب مثالا برواية "ريح الجنوب" التي قال بأنها رواية أُنجزت "تزكية للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف من عزلته ورفع الضيم عن الفلاح، ودفع كل أشكال الاستغلال للإنسان"[2] ويكمل الدكتور عمر بن قينة قائلا بأن هؤلاء الأعلام هللوا كثيرا لهذا الخطاب الذي سرعان ما تكرس في قانون الثورة الزراعية مثلما حدث مع نظرائهم السوفييت، فراحت النخبة الأدبية في نصوصها تتبنى هذا التوجه بنوع من الالتزام متأثرين بالإيديولوجية الاشتراكية، ومن بين الأدباء نجد الروائي الطاهر وطار ونصه "رمانة" المشبع بالدلالات الفكرية ذات التوجه االشيوعي.

لقد تميز الخطاب الروائي باهتمامه بالواقع لكن كانت بعض النصوص الروائية تعود بالقارئ إلى الحقبة الاستعمارية والثورة التحريرية أي عبر استذكار ماض قريب يرافقه واقع مرير ومعقد، وهذا الذي اصطدمت به الجزائر الحديثة قبل وبعد استقلالها، مما يعكس مدى تأثير الوجود الكولونيالي في النصوص الروائية التي التزمت بدورها في سرد الأحداث والوقائع مع مراعاة التوجه الاشتراكي دون المساس بهيبة الرواية وسلطة الكاتب المبدع، لكن الطاهر وطار خالف هذه الرؤية وقدم طرحا مغايرا لمسار المرأة وكيفية ارتباطها بموضوع النضال.

2. الأسس النظرية للمقاربة الموضوعاتية:

1.2. المفهوم والمرتكزات:

إن المنهج الموضوعاتي بصفة عامة منهج يلاحق موضوعات الأثر الأدبي وتفرعاته مستخدما طرقا إجرائية مختلفة، ولعل هذا نتج بسبب اختلاف تعريفه وكيفية تطبيقه، فمن

الواضح أن آليات تطبيق المنهج لا تتأتى إلا إذا اتضح المفهوم والتعريف، لهذا سنتطرق إلى الجانب المفاهيمي لدرء أي شُبهة أو غموض قد تكتنف المنهج من الناحية التعريفية.

يشتق مصطلح (الموضوعاتي/ Thématique) في الحقل المعجمي الفرنسي من كلمة ((Thème) وهي "التيمة" لكن ترجمتها إلى اللغة العربية لا تلقى إجماعا فمنهم من يقول بالترجمة الحرفية "تيمة" ومنهم من يستند على مصطلح الموضوع أو الموضوعاتية... لكن الأقرب إلى منطق الموضوعاتية "أنها اتجاهات مختلفة قليلا، تتدانى حينا، وتتباعد حينا آخر، يجمعها هاجس استخدام كل المفاتيح الممكنة ابتغاء استبطان أغوار النص الدلالية والإحاطة بعوالمه الموضوعاتية"[3] فهي نقد يستشعر عالم الكاتب، ويتحسس موضوعاته بطرق مختلفة كونها مقاربة لم تنل اتفاقا وإجماعا حول طريقة توظيفها واستخدامها.

تعد فرنسا نقطة انطلاق النقد الموضوعاتي والمكان الذي احتضنته نقاشات فكرية وفلسفية، حيث يعود الفضل إليها في ابتكار وإثراء هذه المقاربة ومن هؤلاء النقاد نذكر: جان روسيه، غاستون باشلار، جورج بولي، جان ستاروبينسكي، جان بيير ريشار وغيرهم. بسبب تعدد المفاهيم الخاصة بالموضوعاتية فلن نتمكن من حصرها في تعريف واحد لهذا سنعمل على ذكر بعض المفاهيم والتعريفات التي تسهل فهمنا للمقاربة الموضوعاتية، التي هي في أصلها شبكة علاقات مع الظاهراتية، والتحليل النفسي، والفلسفة الوجودية، بالإضافة إلى العلاقات التاريخية، الثقافية، الاجتماعية التي لا يغفل عنها الباحثون، لكن كل هذا يتأتى بالاعتماد "على قراءة متأنية للنص، وجرد كامل، ثم استخدام مختلف وجوه الموضوع، التي يمكن موضوعيا مراقبة نتائجها وتشكيلها"[4] أما بالنسبة لريشار فلا شيء أكثر ضبابية وهروبا من الموضوع رغم أن "الموضوعات الكبرى في عمل أدبي ما، هي الموضوعات التي تشكل المعمارية غير المرئية L'invisible Architecture" لهذا العمل"[5] ومفتاح تنظيم التيمة هو الموضوعات الكبرى في النص، كما نجد رؤية أخرى تعتمد على البنيوية والإحصاء القائم على تكرار الكلمات ثم جمعها في حقول ذات معنى واحد ومنه يتشكل الموضوع أو التيمة مما يشكل لنا موضوعات فرعية أو جزئية أو مشتقة ضمن الموضوع الأساسي.

إن الموضوعاتية رغم تقاطعاتها مع مختلف المقاربات والمناهج، فهي تتكامل معها في محاولة البحث عن قيمة النصوص وتجربة الكاتب التي استحضرها، ليشكل عالمه الإبداعي إما بوعي أو لا وعي منه، وهذا ما يخلق لنا عالما دلاليا خاصا بالمؤلف، ويرى الدكتور سعيد علوش

أن على الناقد الموضوعاتي البحث عن مقصدية كاتبه –دون أن يضع نهاية للعمل الأدبي- عبر بنيات متحركة ومعمارية تتجاوز ذاتها. يمكننا القول بأن للموضوعاتية توجهات ورؤى مختلفة سواء من الناحية المعجمية أو الاصطلاحية وكذلك من الناحية التطبيقية التي تختلف حسب رؤية كل ناقد، لكن الآليات الإجرائية للمقاربة الموضوعاتية تسمح لها بالتوافق والتداخل والتقاطع والاستعانة بمختلف المناهج وأفكار الناقدين الموضوعاتيين دون أن يكون هناك خلل في بنية المقاربة ومفهومها، بل يعتبر هذا ميزة تسمح للناقد باستخدام ما يراه مناسبا وملائما لطبيعة دراسته، وإن كان من جهة أخرى يطرح إشكالا حول أي صيغة ستكون الأنسب في توظيف مفاهيم وآليات المنهج دون أن يقع خلط والتباس على الباحثين.

في إطار العلاقة التكاملية التي صنعها نقاد المقاربة الموضوعاتية، يمكننا أن نقول عن النقاد العرب بأنهم في البداية مستقبلون ومترجمون لأفكار الموضوعاتية أكثر منهم منظرين، لكن هناك محاولات كثيرة وجهودا مبذولة من طرف نقادنا -الناقلين للموضوعاتية وأطاريحها مفاهيميا، نقديا، وإجرائيا- والمتمثلة في تأويل وتطويع المقاربة وفق ما يناسب أدبنا، لكن دون الرقي إلى مصاف المنظرين الغربيين من حيث إضافة الأفكار الجديدة أو الآليات التطبيقية.

3. القراءة الموضوعاتية للنصين:

نجد في هاتين الروايتين أن المرأة المناضلة هي التيمة المشتركة والتي ارتكز عليها في المتن الروائي حيث تقع الأحداث التي تدور حول كل من "جميلة و"رمانة"، اللتين لعبتا دورا هاما ومحوريا في المقاومة والنضال. يرى الأستاذ صالح مفقودة أن الوضع الاستثنائي الذي مر به المجتمع، بيَّن بوضوح الخصم الحقيقي للإنسان الجزائري، وردم تلك الهوة المفتعلة بين النساء والرجال مما دفع كلا الجنسين للاتحاد ضد أي خصم يواجههما.

تعبر المرأة بثورتها عن رفض صريح لوصفها بالضعف فهي لا تقل شأنا عن الرجل، خاصة إذا تعلق الأمر بالحروب التي جرت العادة بترك شؤونها للرجال فقط، وإن كثيرا "من الأفكار والمفاهيم السائدة في ذهنية الرجل عن المرأة عبارة عن تراكمات وترسبات تاريخية طويلة"[6] فهناك صورة نمطية تكونت عن المرأة وأنها تخاف من الدماء وتصاب بالإغماء حين ترى الجروح والقتلى، رغم أنها تسبق الرجل في رؤية الدماء بعد كل ولادة ومولود تضعه بكل شجاعة وصبر. لقد سبق أن ذُكر في التاريخ نسوة قاتلن وخضن المعارك منهن: خولة بنت الأزور

رضي الله عنها، وكذلك لالة فاطمة نسومر التي قادت ثورة بأسرها ولم تكن مجرد مشاركة فيها. لطالما كان على المرأة إثبات قدرتها والتزامها بالنضال ووعيها بالقضايا التي تكافح فيها لنيل الحرية والكرامة المفقودة إما بسبب الوجود الاستعماري أو الظلم والتسلط أو ضد عادات وتقاليد المجتمع.

إن نضال المرأة يتجاوز حمل السلاح والمشاركة في الحرب فعليا مع الجنود في الجبال، بل ذهب الحال بها إلى حد أن "تمسك المرأة المعول، أو تعمل في مصنع ينتج السلع اللازمة للمجهود الحربي"[7] وهنا يسعنا القول أن المرأة تملك حظوة وسبقا مقارنة بالرجل، فرباطها وصبرها على فقدان زوجها وأبنائها في الحروب في حد ذاته نضال لا يستهان به، وكذلك تضميدها لجروح العساكر وإعداد الطعام فكل هذا يعتبر من سبل التعبير والدفاع عن أفكارها ورفضها للعدوان والمساس بحدودها الشخصية. إن التحول الذي مس شكل المرأة في طريقة نضالها يعزز فكرة الوعي بالأحداث التي تعنى بالمجتمع، ويظهر مدى قدرتها على معرفة وتمييز الحق من الباطل رغم انتشار الجهل والتجهيل بهدف إخضاعها وتمرير الأفكار السلطوية والاستعمارية... كما أن هذا التحول يحدد علاقة المرأة بالمجتمع، وبالحركة الثورية، وبوضح لنا انتقالها من حالة الضعف إلى حالة القوة ومن متفرج إلى فاعل تاريخي له القدرة على التغيير.

1.3. أسس نضال المرأة:

يتجلى بوضوح أن أسس النضال عند "جميلة" بدأت بشكل مبكر مقارنه بـ"رمانة" كونه نضالا مرتبطا بالقبيلة (الجماعة)، والدولة السوفييتية التي جندت جميع الفئات القادرة على تقديم يد العون، وهذا ما يخبرنا به الكاتب على لسان الراوي لما قال أن أجسادهم الغضة أُلقيت عليها أعمال شاقة تمنع حضورهم للبيوت أسابيع طويلة، وأعمال تستمر ليلا ونهارا دون كلل أو ملل ولم يستثنى أحد من هذا، حتى النساء لم يتخلفن عن واجبهن فيقول الراوي: "كانت أمي الصغرى امرأة طيبة، وديعة، متسامحة، ولم تكن تتأخر عن الشبان في العمل، سواء في حفر الأقنية أو في السقاية، كانت تمسك المجرفة بيديها بصلابة"[8] ثم يسترسل قائلا: "كانت جميلة ندا للأم، لا تكل ولا تمل وماهرة في العمل"[9] وهذا دليل على قدرة المرأة في تعويض غياب الرجل والقيام بأعماله الشاقة،

اتسم النضال في رواية "جميلة" صبغة جماعية بفضل الوعي المبكر لدى المجتمع بكل فئاته خصوصا المرأة أُمًّا كانت أو أختا، زوجة، أو عازبة... ويذكرها أيتماتوف قائلا : "كانت أمي تدير شؤون البيتين، تساعدها أختي ... لم أنسى كم كانت تجتهد في العمل في تلك الأيام العصيبة، فقد كانت ترعي خراف وعجول كلا البيتين خلف البساتين، وكانت كذلك تجمع الروث وعيدان القش ليكون هناك دوما وقود في البيت"[10] ومن خلال الرواية نرى أن كل الأعمال تكون جماعية فلا الشباب يعملون وحدهم ولا حتى النساء، بل يكونون في مجموعات سواء كان زرعا أو حصادا أو توصيلا للقمح "ومن فجر غد سنعطي جميلة عربة: ستعملان معا، وأنت أيتها الأم الكبيرة لا تقلقي، فسعيد لن يسمح بالإساءة إليها. وإذا اقتضى الأمر فسأرسل معهما دانيار..."[11] ويعود سبب هذا التلاحم والتكاتف إلى محاولة زرع أفكار الوحدة السوفييتية لدمجه ضمن الدولة الجديدة من جهة، وترابط المجتمع القيرقيزي من جهة أخرى كونه مجتمعا قبليا يعيش وفق العادات والتقاليد (الأعراف)، وتعاليم الدين الإسلامي، وهذا ما مكن المرأة من المشاركة مع المجتمع والوعي بالأحداث التي تستلزم منها الصمود وإثبات قدراتها وعدم عجزها.

على الضفة الأخرى عانت المرأة الجزائرية أيام الاستعمار الفرنسي من الجهل الذي جثم على عقلها مع انعدام الرؤية المستقلة، لكنها قررت كسر هذا الجمود الذي طالها بفضل ولوجها للثورة، فانطلقت تدافع عن وطنها وحريتها جنبا إلى جنب مع كافة طبقات المجتمع. تعكس رواية "رمانة" الأحداث التي فيها "يبدأ الضياع والتهميش بعد مرور أسبوع على دفن أبيها بائع البيض المتجول، وزواج الأخت الكبرى من البرادعي جارها وبمبلغ زهيد جدا، أكلته رمانة وأمها وأختاها في أيام قلائل، وعودة المشكل من جديد" ليزداد الانغماس في هذا التهميش عن طريق دخولها عالم الفسق وبيع الهوى "كانت أمي جميلة، وكنت أجمل منها بكثير.. واستقبلناهم. تمنعت أياما، ثم تحطم كل شيء"[12]

إن رؤية الطاهر وطار لا تعترف بقدسية المرأة الجزائرية التي عاشت الجوع والفقر زمن الوجود الاستعماري، فرغم جواز التخييل في الرواية ومتاجرة الأم بجسدها وقيامها بفعل كهذا أمام بناتها وتشجيعها على ولوج هذه الرذيلة، فإن هذا الطرح قد يستهجنه بعض النقاد والقراء. كما يوضح الكاتب تعدد الأسباب ويعزوها إلى الفقر والجهل الذي تصفه رمانة بقولها: "كان حينا القصديري كله منغمسا في التفاهة والضياع، فلم نجد فعل غير ذلك"[13]، فالمجتمع

الجزائري إبان الاستعمار حاول أن يحفظ المرأة حتى لا تكون في الدرك الأسفل ولا تصادف الخطر الذي قد يفقدها رفعتها وسموها.

يبدأ التغيير بعد تعرف "رمانة" على بوعلام ومجدوب وأصدقائهم المرموقين، حيث يظهر تعجبها من مظاهر العيش الباذخ، وازدياد حبها لبوعلام، لكنها مقابل ذلك تحرم من أمها وأختيها. يزداد التماهي مع الفساد والانحطاط حين نرى رمانة سلعة رخيصة تقدم جسدها لخدمة الزبائن، وتفاجئها من جارتها ورفيقتها في العمل مباركة التي أصبحت في ظرف وجيز فتاة أوروبية اللسان والتصرفات والملبس. يزداد وعي رمانة بحالتها عندما تقرر الهرب وتلتقي بشخصية صالح الذي احتضنها وآواها وحولها إلى امرأة تملك حسا وابتسامة كانتا غائبتين عنها، حتى وصل الأمر بها أن تتعرف على ولد مستضيفها وتلتقيه وتتجول برفقتهما، وهذا ما عزز الروابط بينهما لكن صالح يموت لاحقا تاركا لها البيت. تعود رمانة إلى حياتها السابقة حتى تأتي شخصية "خالي" ذلك الذي يبدو بدويا لكنه متعلم ومثقف له أهدافه الخاصة، حيث يعود له الفضل في إعادة رمانة تذوق لذة الحياة من جديد ثم توعيتها بالثورة، والبداية مع أول مهمة وهي تروي وقائعها قائلة: "قطعت عدة شوارع ودروب، كما وصف لي، وعندما حللت بالمكان الذي حدده لي، أخرجت نقودا، ورحت أتظاهر بعدها، فاقترب مني متسول ينحني على عصا بيضاء، ويضع على عينيه نظارات مهشمة: يا أحباب سيدي عبد الرحمان"[14] وهنا يتجلى الاعتماد على الأمثال الشعبية في توصيل الرسائل المشفرة.

نلاحظ تفاعل رمانة واتخاذها قرار الوثوق في خالها بعد شكوك كثيرة أضنتها ووساوس عن المجتمع والرجال. ولجت رمانة تحديا جديدا فقررت أن تكون واسطة ومبعوثا بين المجاهدين، وتجلت أيضا رغبتها في تعلم القراءة والكتابة بدل أن تبقى حكرا على أختيها، وهذا التغير يعبر عن بداية الوعي وتنامي روح المسؤولية، والنضوج الفكري والعقلي لرمانة كامرأة مستقلة بذاتها وأفكارها ضمن نطاق الجماعة الراغبة في التغيير وكسر شوكة المستعمر. إن تداخل السياسة مع الحياة الاجتماعية والرغبة في الثورة للرد على الواقع المعيش، مكنت "الخال" من تجنيد رمانة لكن الأمر أكبر من مشاركة جزء من الشعب بل يلزمه توعية وإشراك الجزائريين لينهضوا من ضعفهم ويتحولوا من الضعيف المفعول إلى القوي الفاعل في الحدث التاريخي وهذا ما يريده الخال.

يتجلى في الرواية اجتهاد رمانة في التواصل مع الرفقاء وسعيها لتعلم حرفة تكسب بها لقمة عيشها، وهذا بفضل الخال صاحب الشخصية الإيجابية المعاكسة لصالح السلبي وبوعلام ومجدوب اللذان يقتاتان من ضعف الشعب. إنها صورة تظهر ما عاشته المرأة والنتائج والعواقب التي تنتظرها في حال بقاءها على هذه الحال، لأن "مشاركة المرأة في الثورة التحريرية لازالت ناقصة تستحق المزيد من الفحص والتنقيب والتحقيق، لنتمكن من معرفة الحقيقة غير المشوهة والمزيفة حتى يسجل نضال المرأة الجزائرية في صفحة مشرقة من الكفاح المجيد"[15] وهذا دليل على أن النساء المدنيات اللواتي خاطرن وضحين بالمشاركة في رهان الثورة هن قلائل وقد يودي بحياة من تشارك بالموت، من هنا بدأ تحول المرأة داخل المتن الروائي حيث أخرج الكاتب الشخصية من موقع سلبي إلى فاعل مؤثر له دوره.

في رواية جميلة ارتبط النضال بالمجتمع والوعي المبكر بالقضية وهذا الارتباط ما سمح للمرأة دخول أبواب النضال رفقة الرجال رغم المصاعب التي كابدتها، عكس رواية رمانة التي بدأ التحول فيها بعد الضياع والتهميش، ثم ارتقت إلى مرحلة الوعي عبر المشاركة في الثورة التي هي قضية مجتمع بأكمله وفق تصور الطاهر وطار.

2.3. الفعل المقاوم الفردي للمرأة:

إن المعاناة الجسدية والتمييز على أساس الذكورة والأنوثة ومنه الإقرار بإلقاء المسؤولية على الرجل لقوته مقابل إقصاء المرأة ألحق صدمات نفسية بالمرأة، فهذا التهميش يمكن اعتباره بداية وإعلانا لنضال جديد يختلف عما سبق من النضالات، إنها حرب داخلية ضد المجتمع السلطوي الذي يقوده الرجال المتمسكون بالأعراف والتقاليد دون فهم صحيح للنص الديني.

تنطلق حرب المرأة ضد ضعفها الجسدي والنفسي كونها لم تسلم من العنف الجسدي والنفسي والنظرة الدونية من المجتمع القبلي والمستعمر الذي يراها ناقصة عقل، ودين، وضعيفة الجسد، حيث عانت المرأة الاستغلال دون مراعاة لمشاعرها، فجميلة تكابد نتائج الزواج القسري وإن كانت هناك إشارة في الرواية باحتمال زواجها عن حب، ورغم ذلك فهي لم تعش سوى أربعة أشهر مع زوجها الذي لا تشعر نحوه بشيء، مع غياب السعادة الزوجية التي تكون في البدايات. يمكننا إرجاع هذا إلى لا مبالاة السلطة التي لا تراعي حقوق المرأة، فما يهم الاتحاد السوفييتي هو الدفاع عن البلاد والانتصار ضد النازية.

إن غياب الرجل عن المرأة يصنع اختلالا وفترة فراغ لا تمتلئ إلا حين عودته وهذا ما حدث مع جميلة التي لم تسلم من عيون الشباب وطمعهم رغم أنها ظلت على العفة ومبدأ الرفض لمن يحاول الاقتراب منها، لكنها في لحظة طيش تنغمر مع الشباب في لعب ولهو وتقبيل وهذا مما يرفضه الدين والعرف، فرغم استدراكها للموقف وإعلانها بحزم نهاية المزاح إلا أن أثره وسببه واضح ألا وهو غياب الزوج أو المرافق الذي يبعد حضوره العيون والطامعين ويبعث الراحة النفسية للمرأة، وإلا فإن طال الغياب فهاته الإغراءات ستخضع لها جميلة وتحولها إلى سلعة ثم امرأة محتقرة وسط بيئتها.

تعد المرأة في المجتمعات القبلية والإسلامية مقياس طهارة للرجل والعائلة ثم المجتمع، لهذا كان على جميلة أن تظل رمزا ظاهرا وثابتا في وجه الإغراءات القادمة نحوها، وإن كانت المرأة قد لا تصبر شوقا على زوجها. ونستذكر هنا حكمة الفرس التي يرويها مونتينيه ويوافقهم عليها حيث يقول عنهم: "كانوا يدعون زوجاتهم إلى حفلاتهم، ولكن عندما كان النبيذ يؤججهم وكان عليهم ترك العنان لشهواتهم كانوا يعيدوهن إلى مخادعهن كيلا يشاركن في هذا الشبق غير المحدود وكانوا يأتون مكانهن بنساء لا يكنون لهن الاحترام"[16] وما هذا إلا رفعة للمرأة التي لن تسلم من سهام الكلام، والعيون والرغبات. ويعد وقوف جميلة صمودا ورمزا للشرف ونضالا يحتذى به، على الرغم من استسلامها في الأخير لدانيار ومغادرة القرية معه، فهو يعد ثورة على العادات والتقاليد وإن كان في أصله منافيا للدين إلا أنه ليس حبا متعلقا بالشهوة والجسد خصوصا مع ما تتمتع به جميلة من جمال يسمح لها اختيار أي رجل والتلاعب به.

وعلى عكس جميلة فإن رمانة -وفق توجه الطاهر وطار المتجرء - تبدأ نضالها بعد خوضها تجارب عاطفية مع كثير من الرجال، بداية مع البحارة، ثم بوعلام ومجدوب وزبائنهم كالقاضي وغيره... يتبنى الكاتب هنا خطاب الجسد وإظهار فتنة رمانة الجمالية وسذاجتها العقلية، حيث تتجلى خاضعة خانعة غير قادرة لا تملك حولا ولا قوة، بل منغمسة في هذا المستنقع الكريه، إلا أننا نجدها في لحظات ما واعية بجمالها راغبة باستعماله في السيطرة على الرجال، ويمكننا القول بأن شخصية رمانة لا تزال ضائعة تبحث عن ذاتها.

نلمس بعد نجاح رمانة في الهروب ولقائها بصالح تغيرا في الشخصية، وظهور أفكار تعبر عن الرغبة في الاستقلالية، لكن دون تجسيدها أو القدرة على تطبيقها فرمانة لازالت تعتمد على شخصيات أخرى لصنع قراراتها. من حيث المبدأ تحاول رمانة الوقوف ضد عاداتها القديمة

محاوِلة التخلص منها، إلا أنها في لحظات معينة تعتبر وعاء شبقيا تختلطه مشاعر كالحب، المودة، والصداقة، والأُلفة، بالإضافة إلى مشاعر سلبية كالحزن والغضب... تتجلى المشاكل النفسية لرمانة بوضوح في نظرتها للحي الذي نشأت فيه وبؤس حياتها، ثم مقارنتها مع الأغنياء الذين تعرفت عليهم أو زارت أحياءهم مع أبيها فيما مضى، حتى وصل اليأس برمانة أقصى درجاته حين فقدت الثقة بالرجال والمجتمع واعتبرتهم جميعا أعداء لها، فالجميع في نظرها له هدف واحد وهو تذوق فاكهة الرمان أي جسدها والتمتع بجمالها، وليس التعرف على المرأة العاقلة والحكيمة.

يمكننا القول بأن شخصية رمانة هي روح فتاة ممزقة تبحث عن معنى وسبب ألمها، ويعد انضمامها المتأخر للثورة رد فعل ودلالة على أن المعاناة التي عاشتها كانت سببا للنضال وهذا بفضل شخصية المدعو "خالي". نلاحظ كذلك تأثر رمانة بعوامل المحيط والظروف، منها ظروف نشأتها ومعاناتها، ثم عشقها وحبها للخال، ثم فقدان الشغف حين يغادر عالمها حين يُقتل من طرف المستعمر، مما ترك ندبة في نفسها وجرحا لا يلتئم بسهولة. إن المرأة العاشقة متشبثة بحبها وأفكارها، ولا تستطيع النسيان بسهولة، ولذلك يعتبر إشراكها وإدخالها أبواب النضال عنصرا حاسما ومفيدا يسمح لها بالدفاع عن أفكارها لتحقيق الحرية وتفريغ مكنوناتها.

3.3. النضال الجماعي في تجربة المرأة:

تخوض جميلة معركة بطولية ملهمة فهي تعتبر مثالا للمرأة المتآزرة والمتحدة اجتماعيا، تقدم يد العون دون تردد رغم النكران والاحتقار الضمني الذي قد تقابله. من حيث المبدأ فمعروف أن المرأة رمز للعطاء والخصوبة والصبر، فهي تهبنا الأولاد وتحملهم حتى يشتد عودهم، وتحمل عبئ البيت، لكنها في المقابل يجب أن تلقى الاهتمام والحب وليس الإهمال، وإلا فإنها ستعلن ثورة وحربا لا نهاية لها، أو تغادر بصمت لتحقق أهدافها دون حساب للعواقب بالأخص حين تنكسر الروابط وتصبح عائقا أمام الاستمرار والنجاح في العلاقة بين كلا الجنسين. يتجلى حضور المرأة هنا وذوبان ملامحها الفردية لصالح الجماعة مما جعلها رمزا للمجتمع وليس لشخصها فقط.

في الرواية المقابلة نلاحظ البداية الفردية لرمانة والمهمشة مع رغباتها في تحقيق حياة أفضل وأهداف لا تزال حلما ووهما، حتى أتت الفرصة ورأينا رمانة تتماهى مع الجماعة عن

طريق شخصية "خالي" فهي بوابتها التي سمحت لها أن تخوض غمار الثورة. يمثل الانتماء دافعا لتحول الشخصية من ضحية إلى عنصر فاعل وهي مثال على الانخراط في القضية الوطنية وانصهار الفرد في الكل.

إذن فالجماعة تسبق الفرد في رواية جميلة ويمكن اعتبار المرأة أيقونة جاهزة تذوب فرديتها في الجماعة، أما في رواية "رمانة" فهو يكتسب بعد تجربة فردية تدرجت فيه المرأة من الهامش إلى المركز عبر الثورة.

4. البعد الرمزي للمرأة المناضلة:

جميلة أيقونة باحثة عن حريتها وذاتيتها انطلاقا من فرديتها، كما أنها رمز للثورة على المجتمع، وأعرافه وتقاليده، والسلطة الأبوية، فهي تعبير صادق عن الأنثى التي لا تختبئ وراء قناع الضعف والعجز، بل تريد إثبات تضحياتها وأملها في حياة أفضل خصوصا مع الإصلاحات التي طبقها الاتحاد السوفييتي بعد الثورة البلشفية من أمور الطلاق، والميراث، والزواج، وإلحاق نسب الأبناء غير الشرعيين. تحاول المرأة السوفييتية الحفاظ على هذه المكاسب خصوصا لما "منح قانون 1918 امتيازا خاصا للأم غير المتزوجة، بغاية تأمين تقديم مساعدة من الأب، وخولها أن تعلن في المحكمة اسم والد الطفل، غير أنه يتوجب عليها أن تتقدم بهذا التصريح قبل ثلاثة أشهر من الولادة"[17] مع العلم أنه جاء قانون 1926 المعدل للمهلة التي أقرها سابقا وسمح بالإعلان في أي وقت.

ما يميز الأدب الروسي أن المرأة تنطلق من فرديتها، وغالبا ما تنتهي حكاياتها بمأساة أمام المجتمع، إلا أن المرأة السوفييتية المستغلة والمستضعفة رغم ذلك سجلت انتصارات أمام سلطة الكنيسة، التي لم تكن تمنحها أي ميزة أمام الرجل في المحاكمات ومختلف أمور الحياة.

تعتبر رمانة رمزا مزدوجا للجسد المستغل ثم الجسد المقاوم لكنها تتجاوز التعبير عن فرديتها، بل هي إيحاء بأن المرأة في بعدها تمثل الهوية والأرض المستلبة. اسم رمانة مأخوذ من شجرة الرمان وهي فاكهة كثيرة الحَبِ وهذه إشارة للمجتمع واستمراريته، وفيه أيضا إشارة لدماء الشهداء بحكم اللون الأحمر الذي يكسو الرمان. كما أنه يعكس الأنوثة والخصوبة، فاسم رمانة يجمع بين تضحية أبطال الثورة واستمرار الجيل الجديد على نهج السابقين، كما أن للاسم وقعا يحيل على ارتباط مباشر بالطبيعة والأرض وهذا هو واقع الجزائريين الذين

أحبوا أرضهم وأقاموا الدنيا من أجلها طيلة الوجود الاستعماري، وهنا يتضح لنا المتخيل الأدبي للطاهر وطار الذي قدم رؤية لملحمة الثورة عن طريق رمانة التي رأى فيها انعكاسا لصورة الشعب الجزائري وبطولته.

5. الاسترجاع السردي وتمثلات النضال:

حسب الدكتور غالي شكري فاستحضار الذاكرة لا يكون لمجرد السرد والحكي حتى لا يصبح تدفق الأفكار والخواطر تداعيا ذهنيا ولا النقلات إلى الماضي مجرد فلاش باك، وإنما تتراكم الجزئيات حتى تتحول إلى كليات، وتتراكم النسبيات وتصبح مطلقات، ويواصل قائلا بأنه منهج في التعبير الروائي يستمد حيويته من الرواية الجديدة في أوروبا، ولكنه أكثر امتلاء وكثافة بقضايا لا ترد على خاطر الروائي الأوروبي، قضايا الانسان الجزائري في مرحلة تحوله الحضاري العنيف. فهي طريقة من طرق الروائيين في إيصال محتواهم السردي، والهدف هنا هو استرجاع ذكريات النضال والكفاح، وتحول المرأة من هامش إلى فاعل، وإظهار كيف حافظت على ثباتها وصمدت أمام الاستبداد، ثم كيف تماهت مع المجتمع وانضمت إلى قضاياه ودافعت بكل شراسة وبكل ما تملك حتى تنال غايتها ومرادها.

تسمح هذه التقنية بالكشف عن الماضي الأليم والمعاناة التي لحقت بالمرأة والمجتمع، والظروف المحيطة بتشكل وعي ثوري ونضال جماعي تحت راية واحدة، حيث إن العودة بالزمن الماضي رغم أن هذا الماضي مضى إلا أنه يمثل الحاضر بالنسبة للقارئ عبر استحضار التضحية هدفه فضح القمع الاستعماري والاجتماعي بمختلف أشكاله وآلياته وترسيخ لقضية الكفاح.

الذاكرة والفلاش باك هنا تيمتان تتقاطعان مع النضال أي أن توظيفهما كان على أساس آليات مقاومة أدبية ضد المحو وامتدادا لروح النضال. باعتبار مشاركة المرأة في النضال مع الأمة بسجل حافل فإنها تلعب دورا هاما في تشكيل الفكر النضالي عبر تمرير وزرع هاته الأفكار في الجيل الجديد، وهذا يفتح الآفاق التي تسمح بتأسيس مجتمع له ذاته الواعية المنطلقة من المركز وليس الهامش ليكون فاعلا له دوره في محيطه.

6. المكان وتمثلات نضال المرأة:

لا شك أن المكان يمثل محورا أساسيا في الرواية غير أنه ليس مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية، كما لا يعتبر معادلا للشخصية الروائية فقط، بل ينظر إليه على أنه عنصر

شكلي وتشكيلي من عناصر العمل الفني، حيث تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكلان بعدا جماليا من أبعاد النص الأدبي.

تدور أحداث رواية جميلة في الريف الذي يعتبر وحدة جماعية تلتف حول بعضها البعض، بالإضافة إلى الطبيعة التكوينية للأفراد ورابطتهم الدموية والقبلية التي تجعلهم متقاربين ومتلاحمين، ونلاحظ أن الأحداث لا تخلو من ذكر المناطق والأماكن التي تكون الجماعة موجودة دائما فيها كالحقول والكولخوز والبيدر والبيت... وكلها فضاءات مرتبطة بالثورة.

أما في رواية رمانة فالأحداث تكون في المدينة، وكما هو معروف فالمدينة تكون مترامية الأطراف لها مركز أو مراكز محددة تعد قلبها النابض، وتكون هناك أماكن تمثل هامشها كالحي القصديري الذي نشأت فيه رمانة. المرأة هنا تحس بالاغتراب إلا أن الرواية وبعد هروب رمانة يصبح فيها المكان انتقاليا، بحثا عن الذات خارج سلطة التاجرين بوعلام ومجدوب. في الأخير يتجلى نجاح رمانة في عثورها على هدفها الذي يشكل قطيعة مع فضاءات الانكسار ويتحول إلى مكان يدمج المرأة، ففضاء الثورة ملاذها الجماعي بفضل شخصية "خالي"، إذن فالمكان عند جينكيز أيتماتوف يذيب الفردية لصالح الجماعة أما عند الطاهر وطار فهو يعكس تحولات المرأة بين التشيء والانعتاق، والتحول من الهامش إلى المركز، والتدرج من الفرد وصولا إلى الجماعة.

- **خاتمة:**

لقد أثبتت الروايتان القيمة الفردية والجماعية للمرأة وأظهرتا كفاحها ونضالها بطرق مختلفة، ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأن الروايتين تناولتا موضوعا مشتركا هو نضال المرأة في بعدها الفردي والجماعي والمراحل التي مرت بها كل من جميلة ورمانة في هذا النضال، حيث تتكشف الخطوط الفاصلة بين الروايتين، وعلى الرغم من التيمة المشتركة التي طرحها الكاتبان إلا أن كل منهما ينطلق من مجتمعه وعاداته وتقاليده وتاريخه ثم يلتقيان في نقطة إنسانية مشتركة.

اتسمت رواية جميلة بانطلاق نضالها من المجتمع والجماعة وهذا بفضل التركيبة القبلية وكذلك دور الاتحاد السوفييتي بترسيخ التعاون عبر أشكال متعددة إلا أن المرأة كانت تناضل لتثبت من فرديتها قدرتها على الانتماء الجماعي مما أظهر لنا عن نضال داخلي وصراع ضد القبيلة ومجتمعها المتمسك بالأعراف والتقاليد، كما كان الفضل لطبيعة المكان في تشكيل

الشخصية النضالية والوعي المبكر به عند جميلة أما في رمانة فنجد اختلافا واضحا كون الشخصية تبدأ نضالها من واقعها الذي تكابد فيه صعوبة العيش ويكون سببا في دخولها مجال الدعارة وتتحول إلى جسد مُشتهى وسلعة مطلوبة من طرف بوعلام ومجدوب لكن التحول الحاصل والطارئ بعد عملية الهروب يبين لنا عن بداية ظهور وعي سطحي بالواقع المعيش أولا الذي هو إسقاط على المجتمع بأكمله انطلاقا من متخيل الكاتب ومنظوره الخاص، جميلة هنا هي رمز للأمة المتلاحمة بفضل الروابط التي تجمعها أما رمانة فهي المرأة والإنسانة المتحولة من الضياع إلى الوعي.

يمكن القول أن الأثر الروائي للأدب الروسي على الرواية الجزائرية تجسد في طبيعة التيمة المشتركة بينهما ببعدها الإنساني، هناك من يعتقد أن هذا التأثير يتجاوز التيمة ويصل إلى التقليد إلا أننا نرى عكس ذلك تماما فرمانة مستقلة بذاتها ومكانها ووعيها وتاريخها ومصورة وفق رؤية الكاتب المعاكسة لرؤية الأديب الروسي الذي لم يتجرأ على ذكر الجسد أو تدنيس حرمة المرأة وإن كان ذلك ممكنا لو استعان بالرمزية إلا أنه فضل الكتابة وفق رؤيته الإنسانية ولم يوظف التخيلات في روايته، إذن فالتجربة الروائية الجزائرية ليست استنساخا كليا لما كتبه الروائي الروسي بل هي ترجمة مستقلة تعبر عن رؤية الطاهر وطار للشعب الجزائري وأرضه المغتصبة ممثلا بشخصية رمانة، وبفضل توظيف المكان الريفي والمديني كان للشخصيتين دور فعال في بناء الأحداث فالمكان هنا ليس مجرد إطار بل عنصرا أساسيا أعاد صياغة تشكيل المرأة وصورتها النضالية، كما يتضح لنا في الروايتين اللجوء إلى التراث المحكي من أغاني لها خلفية وعلاقة بالحكمة لتؤكد ارتباط الشعوب بجذورها وعدم ذوبانها مهما كانت المؤثرات.

سمحت لنا الموضوعاتية بمعرفة وتوسيع دائرة البحث نحو تيمات أخرى تتقاطع فيها الروايات ذات البعد الإنساني مهما كان التفاوت بينها ولهذا كانت الموضوعاتية سببا في رفع هذا اللبس بفضل مرونتها المنهجية وقدرتها على التوفيق بين مختلف الآداب، كما كان لها دور في تفكيك رؤية وكيفية توظيف كل كاتب وتشكيله لنصه وبينت المتخيل من الواقعي وأعطت فضلا للروائي الروسي كونه عنى بسمو النفس أكثر من الاهتمام والانطلاق من الجسد وبهذا لا يصطدم مع قيم المجتمع تحت غطاء المتخيل كما فعل الطاهر وطار.

على الرغم من مدى التقارب في الفكرة والموضوع إلا أننا نلمس أفكارا مختلفة وفهما متناقضا للنضال من طرف كل كاتب يُحسب فيه ذكاء الكاتب الروسي بتبنيه طرحا نأى به عن الجدلية حيث ظل ملازما للجماعة وذابت المرأة فيها، أما نظيره الروائي الجزائري الذي اجترأ وغامر عبر المتخيل الفني محاولا الولوج في طبيعة المرأة ثم تحميل سياقاتها في إطار النضال والرفض للسلطة القمعية والاستعمارية.

- **التهميش والإحالات:**

[1]- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للنشر والطباعة، الرباط، المغرب، ط 01، 1989، ص 07.

[2]- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 198.

[3]- يوسف وغليسي: التحليل الموضوعاتي للخطأ الشعري، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص19.

[4]- ميشيل كولو: النقد الموضوعاتي. ترجمة: غسان السيد، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 93، 1997، ص110.

[5]- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص41.

[6]- فاطمة المرنيسي: الحريم السياسي النبي والنساء، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1993، ص06.

[7]- كارول كوهن: المرأة والحرب، ترجمة: ربى خدام الجامع، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2017، ص29.

[8]- جينكيز أيتماتوف: جميلة، ترجمة: هقال يوسف، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط01، 2014، ص09.

[9]- المرجع نفسه: ص 09.

[10]- المرجع نفسه: ص 10

[11]- المرجع نفسه: ص 13.

[12]- الطاهر وطار: رمانة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط01، 2013، ص09.

[13]- المرجع نفسه: ص 09.

[14]- المرجع نفسه: ص 67.

[15]- أنيسة بركات درار: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص69.

[16]- سيمون دو بوفوار: الجنس الآخر02 (التجربة الحياتية)، ترجمة: سحر سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط01، 2015، ص343.

[17]- رينيه دافيد، جون هازارد: الحقوق السوفييتية (الجزء 02)، ترجمة: عبد الوهاب الأزرق، محسن العباس، دمشق، سوريا، منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق، سوريا، 1969، ص343.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

- **قائمة المصادر:**

1- جينكيز أيتماتوف: جميلة، ترجمة: هقال يوسف، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2014.

2- الطاهر وطار: رمانة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط1، 2013.

- **قائمة المراجع:**

1- أنيسة بركات درار: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

2- رينيه دافيد، جون هازارد: الحقوق السوفييتية (الجزء 02)، ترجمة: عبد الوهاب الأزرق، محسن العباس، منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق، سوريا، 1969.

3- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للنشر والطباعة، الرباط، المغرب، ط 1، 1989.

4- سيمون دو بوفوار: الجنس الآخر02 (التجربة الحياتية)، ترجمة: سحر سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2015.

5- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

6- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

7- فاطمة المرنيسي: الحريم السياسي النبي والنساء، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1993.

8- كارول كوهن: المرأة والحرب، ترجمة: ربى خدام الجامع، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2017.

9- ميشيل كولو: النقد الموضوعاتي. ترجمة: غسان السيد، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 93، 1997.

10- يوسف وغليسي: التحليل الموضوعاتي للخطأ الشعري، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.

- **رومنة قائمة المصادر والمراجع:**

1- ʻAbd al-Karīm Ḥasan : al-manhaj al-mawḍūʻī Naẓarīyat wa-taṭbīq, al-Muʼassasah al-Jāmiʻīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ, Bayrūt, Lubnān, Ṭ1, 1990.

2- Anīsah Barakāt Dirār : Niḍāl al-marʼah al-Jazāʼirīyah khilāl al-thawrah al-taḥrīrīyah, al-Muʼassasah al-Waṭanīyah lil-Kitāb, al-Jazāʼir, 1985.

3- Fāṭimah al-Marnīsī : al-ḥarīm al-siyāsī al-Nabī wa-al-nisāʼ, Dār al-Ḥaṣād lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, Dimashq, Sūriyā, 1993.

4- Jynkyz aytmātwf : Jamīlah, tarjamat : hqāl Yūsuf, Dār al-Sāqī, Bayrūt, Lubnān, Ṭ1, 2014.

5- Kārwl kwhn : al-marʼah wa-al-ḥarb, tarjamat : rubá Khaddām al-Jāmiʻ, al-raḥbah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, Dimashq, Sūriyā, Ṭ1, 2017.

6- Mīshīl kwlw : al-naqd al-mawḍūʻātī. tarjamat : Ghassān al-Sayyid, Majallat al-Ādāb al-ajnabīyah, Ittiḥād al-Kitāb al-ʻArab, Dimashq, Sūriyā, al-ʻadad 93, 1997.

7- Rīnīh Dāvīd, Jūn Hāzārd : al-Ḥuqūq al-sūfyatīyah (al-juzʼ 02), tarjamat : ʻAbd al-Wahhāb al-Azraq, Muḥsin al-ʻAbbās, Manshūrāt al-Majlis al-Aʻlá li-Riʻāyat al-Funūn wa-al-Ādāb wa-al-ʻUlūm al-ijtimāʻīyah, Dimashq, Sūriyā,1969.

8- Saʻīd ʻAllūsh : al-naqd al-mawḍūʻātī, Sharikat Bābil lil-Nashr wa-al-Ṭibāʻah, al-Rabāṭ, al-Maghrib ،Ṭ1, 1989.

9- Sīmūn de Būfwār : al-jins alʼākhr02 (al-tajribah al-ḥayātīyah), tarjamat : Saḥar Saʻīd, al-raḥbah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, Dimashq, Sūriyā ،Ṭ1, 2015.

10- al-Ṭāhir Waṭṭār : rmānh, al-Muʼassasah al-Waṭanīyah lil-Funūn al-Maṭbaʻīyah, al-Jazāʼir ،Ṭ1, 2013.

11- ʻUmar ibn Qaynah : fī al-adab al-Jazāʼirī al-ḥadīth, Dīwān al-Maṭbūʻāt al-Jāmiʻīyah, al-Jazāʼir.

12- Yūsuf Waghlīsī : al-Taḥlīl al-mawḍū‘ātī llkhṭ’ al-shi‘rī, Jusūr lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Jazā’ir, 2017.